*المسألة السّابعة والخمسون من الإنصاف*

*بحث في النحو*

*إعداد/ د. وليد علي الطنطاوي*

*قسم اللغة العربية*

*كلية العلوم الاسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*waleed.eltantawy@mediu.edu.my*

**خلاصة—هذا البحث يبحث في المسألة السّابعة والخمسون من الإنصاف.**

*الكلمات المفتاحية: الإنصاف، البصريون، الإختصاص.*

# ***المقدمة***

معرفة أسس المسألة السّابعة والخمسون من الإنصاف، إنَّ الكوفيين كما حكوا عن يونس، كذلك البصريون لا يردون ما قاله الفراء، وإنَّما يرحبون به ويقبلونه؛ لكنهم يخرجونه على الوجه الذي لا يتعارض وما يذكرونه، وهم قد قالوا: لا بد من العوض؛ ولكن هذا خصوصية؛ فالقول في: الله لأفعلن؟ جاء على وجه الخصوصية، ومعنى ذلك: أنَّ اسم الجلالة يختص دون غيره بهذا وبغيره، مما يعني أن الخاص لا تنبني عليه قاعدة عامة، ولا يصلح أن يقاس عليه، واستطردوا.

1. *المقالة*

أصل المسألة: إعمال حرف القسم محذوفًا:

حرف القسم إعماله يعود بنا إلى ما قرره سيبويه من مخاطبة المتحدث، المتحدث هو حجر الزاوية؛ فهو الذي يعمل ويهمل، والفعل في لسانه بين الإعمال وبين الإهمال، غاية ما هنالك أنه عليه أن يدرك كيف يستعمله عاملًا وكيف يستعمله مهملًا، فنحن نعمل حرف القسم -وهذا لا خلاف فيه في المسألة نفسها- هناك إجماع وهناك خلاف، والإجماع: أننا نعمل حروف القسم، ونعملها وهي مذكورة، ونعملها وهي محذوفة، الأصل إعمال حروف القسم، تعمل وهي مذكورة؛ مثال: والله لأجتهدن، وفي الكتاب العزيز: {ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ} [الأنبياء: 57] تاء عاملة، وقد عملت الجارة في لفظ الجلالة.

{ﯹ} التاء حرف قسم وهي تجر، وقد جرَّت والجار ظاهر على اللسان، فتنطق بجر لفظ الجلالة؛ فالعامل الذي عمل فيه الجر: التاء، والتاء من حروف القسم، وقد عملت مذكورة، وقد ظهر الجر أو حركته؛ فالكسرة في {ﯹ} إنَّما هي من أثر التاء.

هل هناك خلاف بين البصريين والكوفيين في إعمال حرف القسم محذوفًا؟

لم يكن هناك خلاف بين البصريين والكوفيين في إعمال حرف القسم حال كونه محذوفًا؛ وإنما أورد الأنباري عنهم الخلاف في إعمال حرف القسم محذوفًا بلا عوض أو إعماله محذوفًا بعوض؛ فلا خلاف في أن حرف القسم يعمل محذوفًا.

العوض عند البصريين:

ذكر البصريون أنَّ حرف القسم يعمل محذوفًا على الإطلاق بلا شرط، وهذا قول الكوفيين. أما أهل البصرة، فإنهم يشترطون العوض؛ فيقولون: يعمل حرف القسم محذوفًا بشرط العوض: وهو ألف الاستفهام أو هاء التنبيه؛ مثال ألف الاستفهام: آلله ما فعلت، ومثال هاء التنبيه: هالله ما فعلت.

ذكر الأنباري حكاية عن الفراء الذي حكى عن العرب قولهم: آلله لتفعلن؟ فقال المجيب: الله الله هكذا......

توجيه الكوفيين لذلك:

إنَّ الكوفيين وجهوا رواية الفراء عن العرب فيما يشبه الحوار: آلله لتفعلن؟ بالاستفهام فيرد المجيب: الله لأفعلنَّ. بالجر؛ فقالوا: هذا يدل على جواز حذف حرف القسم وإعماله بلا عوض؛ لأنه لا يوجد العوض، كأنه قال: والله لأفعلنَّ. وحذف الواو فأصبحت الكلمة: اللهِ لأفعلن. فلا عوض هنا، ولفظ الجلالة مجرور؛ فالعامل حرف القسم، وحرف القسم محذوف.

حكي عن يونس -وهذا يدل على عدم تعصب الكوفيين، فيونس بن حبيب، عليه رحمة الله، شيخ سيبويه، ليس من شيوخهم: مررت برجل صالح إلا صالح فطالح، وتأويل هذا المنقول عند الكوفيين: إلا أكن مررت برجل صالح فقد مررت بطالح، وهذا مما يدل على الحذف ولا عوض.

ولسان حالهم: لم تصرون على العوض وقد قال قائلكم: مررت برجل صالح إلا صالح فطالح؛ فانظر إلى كثرة الحذف وبقاء الجر دون انتظار لشيء يسمى عوضًا.

كذلك مما ذكره الأنباري: كان إذا قيل لرؤبة: كيف أصبحت؟ فكان يقول: خيرٍ عافاك الله... هكذا، وتوجيه ذلك أن كلمة "خيرٍ" بالجر هكذا إنَّما هو مجرور بحرف جر معروف وهو الباء، كأن رؤبة الشاعر الراجز حين يرد على من قال له: كيف أصبحت يا رؤبة؟ فقال: خيرٍ عافاك الله، كأنه قال: بخير عافاك الله، فحذف حرف الجر وأبقى الاسم المجرور بلا عوض تراه. وذكر الكوفيون شاهدًا من الشعر على ذلك: وهو قول الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| رسمِ دار وقفت في طلله | \* | كدت أقضي الحياة من جلله |

"رسمِ دار" هكذا مجرور، وقد جره بحرف محذوف، و"رسم دار"، رب رسم دار، وجملة "كدت أقضي": كاد من أفعال المقاربة وهي أم باب أفعال المقاربة، والتاء اسمها، وخبرها لا بد أن يكون جملة فعلية، ولا بد أن يكون فعلها مضارعًا وهذا شرط عملها، وهذا سبيل ورودها: {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ} [البقرة: 71]؛ وهي تعمل عمل كان: أي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، لكن شرط إعمالها: أن يكون خبرها جملة فعلية فعلها مضارع، والخلاف في اقتران خبرها بأنْ خلاف مشهور.

والذي عليه الناس أنه يأتي مجردًا من أن، وقد جاء في فصيح الكلام: ((كادت الحاجة أن تكون كفرًا)) وهذا حديث البخاري. الشاهد إذن في "رسم دار"؛ حيث جر بحرف محذوف ولا عوض.

كذلك:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب | \* | عني ولا أنت دياني فتخزوني |

استشهد به الكوفيون، وموضع الشاهد: لاه، وهي ليست من اللهو، "لاه ابن عمك" أصله: لله ابن عمك، حيث جره بحرف جر محذوف. لا أفضلت في حسب عني: فجدي وجدك واحد، ولا أنت دياني فتخزوني، أي لست ديانًا لي، فتخزوني وتطالبني، تمن علي، فلماذا تسيء إليَّ؟!.

ولا يقال: بوالله لأفعلن -بالجمع بين الباء والواو- لأن الواو عوض عن الباء، والقاعدة: أنه لا يجمع بين العوض والمعوض.

رد البصريين:

إنَّ الكوفيين كما حكوا عن يونس، كذلك البصريون لا يردون ما قاله الفراء، وإنَّما يرحبون به ويقبلونه؛ لكنهم يخرجونه على الوجه الذي لا يتعارض وما يذكرونه، وهم قد قالوا: لا بد من العوض؛ ولكن هذا خصوصية؛ فالقول في: الله لأفعلن؟ جاء على وجه الخصوصية، ومعنى ذلك: أنَّ اسم الجلالة يختص دون غيره بهذا وبغيره، مما يعني أن الخاص لا تنبني عليه قاعدة عامة، ولا يصلح أن يقاس عليه، واستطردوا.

وذكر الأنباري استطرادهم حيث قال: فإن لات مختصة بالحين، يعنى لا تعمل إلا في الحين فقط، ولكن: {ﭥ ﭦ ﭧ} [ص: 3]؛ حتى إن "لات" -التي هي "لا" وزيدت عليها "التاء" للمبالغة في النفي- تعمل من حيث الخصوصية على وجه هو خاص بها جدًّا؛ من يراجعه في كتب النحو فسوف يقف عند قول النحاة: ولا بد أن يحذف أحد معموليها، ولا بد أن يكون الحين، ومعنى ذلك: أن قول الله تعالى: {ﭥ ﭦ ﭧ} معناه: ولات الحين حين مناص، فجاءت لا التي تعمل عمل ليس، والتي زيد عليها التاء للمبالغة، وقد رفعت ما حذف ونصبت ما بقي.

كما قالوا بالاختصاص فيما حكي عن الفراء قالوا بقلة الاستعمال فيما حكي عن يونس. ومعنى قلة الاستعمال: أنه بعيد عن القياس به، فلا يقاس عليه، ويعني بهذا الذي حكاه يونس: مررت برجل صالح إلا أكن مررت برجل صالح، فقد مررت برجل طالح. كثرة المحذوف، وهذا أمر غير مطرد، قليل الاستعمال بعيد عن القياس؛ لأن فيه حذف: "أكن" و"مررت"، و"برجل"، و"قد" و"مررت"، و"برجل".

ورد البصريون: نحن لا نخطئ ما ذكرتموه عن رؤبة؛ لكنا نرفضه لأنه شاذ والشواذ تحفظ، ولا يقاس عليها.

إضمار رب بعد الواو والفاء وبل:

وبقيت كلمة هي عامل مشترك بين البصريين وبين الكوفيين، ولكل تفسيره ولكل مذهبه فيها، وهي: إضمار رب بعد الواو والفاء وبل.

إن إضمار رب بعد الواو والفاء وبل، رأى فيه الكوفيون حذف الجار وعدم التعويل، وقد رأى أهل البصرة: أن المسألة برمتها دليل قوي على رجاحة مذهبهم، قال أهل البصرة: القول بإضمار رب بعد الواو والفاء وبل، هذه الأحرف الواو والفاء وبل بمثابة العوض، فإن رب لا تضمر مطلقًا، ولكن تضمر بعد الواو والفاء وبل، يعني: بعد حروف معينة؛ فقول امرئ القيس:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| "فَمِثلُكِ حُبلى قَد طَرَقتُ وَمُرضِعٍ | \* | فَأَلهَيتُها عَن ذي تَمائِمَ مُحوِلِ |

أي: ورب مثلك. إذن حذفت رب، ولكن بعد أحرف معينة هذه الأحرف بمثابة العوض؛ لأنها هي الدليل على أن رب محذوفة، فصارت بمثابة العوض، وأنتم لا تقولون به، ومع ذلك تقولون: إن رب تضمر بعد الواو وبعد الفاء وبعد بل.

وقد حكى أبو الحسن الأخفش: "تَرَبِّي"، والنطق هكذا: تربي لأفعلن. كأنك قلت: تالله لأفعلن، وعلى الرغم من أن أبا الحسن الأخفش من البصريين، لكن البصريين تتبعوه كما تتبعوا غيره وانتقدوه وفندوه.

حكى أبو الحسن الأخفش: "تربي"، فحكم البصريون عليه -وهم أهله وأصحابه- كما حكموا على رؤبة فقالوا: إن ما قاله رؤبة من قوله في جواب من سأله: كيف أصبحت؟ خيرٍ، عافاك الله، قالوا: لا يقبل ولا يقاس عليه، وكذلك دخول التاء على رب الذي حكاه أبو الحسن الأخفش، قالوا: هو شاذ، وأسألك: من العلماء من أجاز دخول التاء على رَب ولكن بشرط؛ مما يعني أن هناك مخالفة بين من أجاز دخول التاء على رب وبين ما نسب إلى أبي الحسن الأخفش؛ فإن الذي نسب إلى أبي الحسن الأخفش -رحمه الله- يدل على دخول التاء بدون هذا الشرط، وهناك فرق بين ما كان على الإطلاق وبين ما كان على شرط.

قال العلماء الذين وضعوا شرط دخول التاء على رب: أن يكون مضافًا إلى الكعبة، قالوا: يجوز أن تقول: تَرَبِّ الكعبة لأفعلن. ومنهم من أجاز دخولها على "الرحمن".

# المراجع والمصادر

1. سيبويه، عمرو بن عثمان سيبويه (الكتاب) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، 1991م
2. المبرد، محمد بن يزيد المبرد (المقتضب)، دار الكتب العلمية، 2000م
3. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح التسهيل)، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1990م
4. القفطي، جمال الدين علي بن يوسف القفطي (أنباه الرواة على أنباه النحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، 1950م
5. بن كثير، إسماعيل بن كثير (طبقات الشافعية)، دار المدار الإسلامي للتوزيع، 2003م
6. الحنبلي، ابن العماد عبد الحي بن أحمد الحنبلي (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، سوريا، دار ابن كثير، 1986م
7. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف)، دار الكتب العلمية، 2007م
8. الأنباري، أبو البركات بن الأنباري (البيان في غريب إعراب القرآن)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م
9. الأنصاري، جمال الدين بن هشام الأنصاري (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م
10. الأشموني، علي بن محمد الأشموني (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك)، دار الكتب العلمية، 1998م
11. بن جني، ابي الفتح عثمان بن جني (الخصائص)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م
12. بن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك (شرح الكافية الشافية)، دار الكتب العلمية، 2000م
13. الشافعي، محمد بن علي الصبان الشافعي (حاشية الصبان على شرح الأشموني)، دار الكتب العلمية، 1997م
14. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964م
15. الطنطاوي، محمد الطنطاوي (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م
16. الأستراباذي، محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (شرح الرضي على الكافية)، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، 1978م
17. بن يعيش، يعيش بن علي بن أبي يسار بن يعيش (شرح المفصل)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.
18. بن منظور، محمد بن مكرم بن منظور (لسان العرب)، بيروت، دار صادر، 1970م
19. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (اللباب في علل البناء والإعراب)، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م
20. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع)، دار الكتب العلمية، 1997م
21. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن عليّ بن حيان الأندلسي (تفسير البحر المحيط)، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ